تجديد علم الكلام بين أصول المرجعية الدينية والمناهج التحديثية

بقلم

مريم بوخــاري أ.د/ عبد الغني عكاك

جامعة الجزائر ـ1ـ

abdelghani_akak@yahoo.com boukharrimeriem34@gmail.com

المقدمة:

إن أي علم يتطلب مرجعية متكاملة ومحددة، وهذه المرجعية تتمثل في المصادر التي يستمد منها العلم دعائمه وقواعده، ومع ارتفاع صيحات التجديد -على اعتبار أنها ميزة سننية ومن طبيعة النص الكلامي- دعت الضرورة إلى العناية بأصول المرجعية الدينية للحفاظ على الكيان الثابت في الدين، وإزالة كل ما يقتحم ماهيتها وأساسها، فالعناية بالجانب المفاهيمي والفلسفي لموضوع المرجعية له علاقة بما يسمى بالأمن الفكري، وعلاقة بما يمكن أن يعتبر مكامن قوة المجتمع في هذا العصر، في ظل التجاذبات الفكرية والأفكار الحداثية التي تُعنون لأولوية الإنسان وفق مقولات حقوق الإنسان، والحرية والتحرر، وما إلى ذلك...، وفي ظل الواقع المتجدد الذي تعيشه المجتمعات، يحتاج علم الكلام إلى نظرة مغايرة تقوم على موازنة بين أصوله المرجعية، وامتداداته التحديثية، ضمن أفق التحاور والتجاور العالمي، بغرض تفعيل الميكانيزمات التي يحتاجها علم الكلام لضمان فعالته، وتحديد استراتيجياته وفق ما يتماشى وخصوصية الراهن.

وانطلاقا من هذا برزت أهمية الموضوع في تسليط الضوء على مثل هذه القضايا بغرض طرح أهم الإشكالات التي يفرضها في ظل التضايف الفكري ما بعد الحداثي، وفي ظل التهافت الكبير على المرجعيات الدينية المستوردة دون اعتبار لمدى ملائمتها

لخصوصية البيئة المحلية، بحيث لا نلغي المناهج المعاصرة والتجارب الناجحة في مجال تجديد علم الكلام، وهذا بغية الخروج بمنهجية علمية تسعف الفكر العربي المعاصر في ولوج فضاء المعرفة الدينية بناءا على معطيات منطقية تتماشى ومقاصد النص القرآني والسنة النبوية وترتبط بخصوصية الواقع المعيش.

ومن هذا يمكن طرح مجموعة من **الإشكالات** كالآتي:

– ما هي مؤشرات ومعايير المرجعية للحفاظ على هوية علم الكلام في مقابل المناهج التحديثية؟

– كيف يتم تجديد الأصول المرجعية لعلم الكلام بما يحفظ كيانها؟

– ما هي آثار المناهج التحديثية في الحركة التجديدية لعلم الكلام؟

وعلى هذا الأساس وللإجابة على هذه الإشكالات، قسمنا البحث إلى:

– **مقدمة**: تطرقنا فيها إلى التعريف بالموضوع وبيان أهميته، وكذا الإشكالية، وخطة التقسيم ومعالجة الموضوع.

المبحث تمهيدي: ضبط المصطلحات.

الفرع الأول: تعريف تجديد علم الكلام. **الفرع الثاني**: تعريف المرجعية الدينية.

المبحث الأول: أركان المرجعية الدينية في علم الكلام وأبعادها.

الفرع الأول: أركان المرجعية الدينية في علم الكلام. **الفرع الثاني**: أبعاد المرجعية.

المبحث الثاني: مُوَقِضَات الأركان ومهددات الكيان.

الفرع الأول: موقضات المرجعية الدينية. **الفرع الثاني**: مهددات المرجعية الدينية.

المبحث الثالث: المناهج التحديثية في تجديد علم الكلام.

- **الخاتمة:** اشتملت على مجمل نتائج البحث وتوصيات.

مبحث تمهيدي: ضبط المفاهيم.

الفرع الأول: تعريف تجديد علم الكلام.

منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تنادت صيحات في العالم الإسلامي تدعو إلى إعادة النظر في علم الكلام، وإعادة صياغة علوم العقيدة، فلن يكون هناك تجديد إلا إذا شعرت الأمة بضرورته والحاجة إليه، ولن يتأتى ذلك إلا إذا آمنت بأن لها في النهضة مشروعًا متميزًا عن المشاريع الأخرى للحضارات الأخرى، والاهتمام بتجديد علم الكلام في السياق التاريخي الإسلامي المعاصر كان من الانشغالات البحثية لعدد من الباحثين والمفكرين، وهو ما يؤكد حاجة هذا الحقل المعرفي إلى تجديد نوعي يوازي التحولات الاجتماعية والتحديات المعاصرة، وسنحاول في هذا الفرع تعريف التجديد في علم الكلام.

- **التجديد لغة: أ**شار ابن فارس في المقاييس إلى: " الجيم والدال أصول ثلاثة: الأول العظمة، والثاني الحَظ، والثالث: القَطْع "[1]، "وجَدَّ الشيء يَجِدُّ جَدًّا بالفتح أي حدث بعد أن لم يكن فهو جديد، وأجده وجدده واستجده أي صيره جديداً، وضده البلي، والجَمْعُ أَجِدَّةٌ وجُدُدٌ وجُدَدٌ "[2].

"والجِدُّ بالكسر الاجتهاد في الأمور، فجد الشيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً: صار جديدًا،

([1]) – أبو الحسين أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،1979م، ج1، ص406_409.

([2]) –ينظر: **المعجم الوجيز**، ص94. **المختار من صحاح اللغة**: الجوهري، ص71، **القاموس المحيط**: الفيروزبادي، ص279.

وهو نقيض الخَلقِ" على حد قول الجوهري[3].

فمن هذه المعاني اللغوية نلاحظ أن معناه هو رجوع إلى ما سبق وجعله جديد، وإبراز ما لم يكن بارزًا، أو هو إعادة الشيء إلى حالته التي كان عليها أول أمره، دون إقحام ما ليس منه فيه، وهذا اللفظ بمعناه وإطلاقه اللغوي هو نفسه الذي اعتمده البيان القرآني والسنة النبوية المطهرة[4]، فليس هو البديع المنشأ على غير مثال سابق، وإنما هو إعادة الخلق كما كان أول مرة، فنجد تأكيدا على ذلك في الحديث الذي رواه أبو داوود –رحمه الله– في سننه عن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم _ قال: " **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** "[5].

- **التجديد اصطلاحا:**

- التجديد عند العلقمي: " هو بمعنى إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما "[6]، وهذا القول يؤكد أن هناك اندراس وإحياء، والتجديد هو الإحياء بعد الدروس من العمل بمقتضى. ما جاء في كتاب الله عز وجل وفي سنة نبينا محمد _ صلى الله عليه وسلم_.

---

(3) – إسماعيل بن حماد الجوهري: **الصحاح(تاج اللغة وصحاح العربية)**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم، بيروت، لبنان، ط2، 1979م،ج2، ص454.

(4) – التجديد في القرآن الكريم لم يرد بهذه الصيغة ولكن ورد في ثمانية مواضع بصيغتين قريبتين للفظ التجديد، فجاء ست مرات بلفظ "جديد" ومرتين بلفظ "جديدًا" (ينظر؛ محمد فؤاد عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر، د.ب ،ط2، 1981م، ص 165).

(5) – **سنن أبي داود**، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، د ت، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، رقم: 4291، ج4، ص109.

(6) – ينظر على هامش، المناوي: **فيض القدير**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1972م،ج2، ص281.

أما التجديد عند علماء العصر الحديث فنجد القرضاوي يعرفه بقوله: " إن التجديد لا يعني أبدًا التخلص من القديم أو محاولة هدمه، بل الاحتفاظ به، وترميم ما بلى منه، وإدخال التحسين عليه، ولولا هذا ما سمي تجديدا لأن التجديد يكون لشيء قديم "[7]، وهنا تأكيد من القرضاوي على أن الشيء المجدد قد كان على هيئة ما، ثم حصل له شيء ما أبلاه، وهذا لا يعني بأي شكل من الأشكال التخلص منه أو هدمه، بل يجب الاحتفاظ به، والتخلص مما جعله قديم، وإدخال التحسين إليه وترميمه بما يعيده إلى هيئته الأولى. ويضيف في كتابه "من أجل صحوة راشدة" تعريفاً دقيقاً عن التجديد فيقول: " إن التجديد لشيء ما، هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهي منه، وترميم ما بلي، ورتق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى، فالتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، فهذا ليس من التجديد في شيء "[8].

ويقول الطيب برغوث عن التجديد: "هو تمكين الأمة من استعادة زمام المبادرة الحضارية في العالم كقوة توازن محورية، عبر إحكام صلتها من جديد بسنن الآفاق والأنفس والهداية، التي تتيح لها المزيد من الترقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراني "[9]. فمعنى استعادة زمام المبادرة الحضارية أنها كانت تملك قوة حضارية في العالم، وهي الآن في مرحلة الاستعادة والرجوع لسابق عهدها وذلك بإحكام

(7) – يوسف القرضاوي: **الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد** ، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1999م، ص29-30.

(8) – يوسف القرضاوي: **من أجل صحوة راشدة،** دار الشروق، 2001م، القاهرة، ص30.

(9) – مجلة القافلة مقال بعنوان: **مفهوم التجديد في الفكر الإسلامي،** محمد مراح ، العدد 3، المج 48، 1999، ص1.

صلتها وإعادة ربطها بسنن الآفاق والأنفس وكذلك الهداية، وهذا يجعلها في سلم الترقي بمختلف مجالاته.

وعلى هذا فإننا نرى أن كلمة التجديد في الاصطلاح لا تخرج معناها عن المعنى اللغوي، فهو لا يعنى أبدا التخلص من القديم أو محاولة هدمه، بل الاحتفاظ به والإبقاء على طابعه وخصائصه وإبرازه والعناية به، وترميم ما بلى منه، وتقوية ما ضعف من أركانه، وإدخال التحسين عليه، وبهذا المعنى فإن التجديد في مجال الفكر أو في مجال الأشياء على السواء هو أن تعيد الفكرة أو الشيء الذي بلي أو قدم أو تراكمت عليه من السمات والمظاهر ما طمس جوهره وأن تعيده إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة.

وفي هذا السياق يأتي مشروع تجديد علم الكلام، والذي جرى ويجري التركيز عليه في المحافل الفكرية والدينية المعاصرة، ويقول البوطي في ذلك:" إن علم الكلام اليوم، في حدود الحاجة الماسة إلى التصدي لأسباب الزيغ وموجباته الحديثة، مما يلبس أردية المنطق والعلم في الظاهر، ومن أشرف ما يجب على المسلمين الاشتغال به والانصراف إليه، وهو ضمن حدود الحاجة إليه داخل في صميم المنهج القرآني للتبصير بحقائق الإسلام وعقائده"[10]. لذا فقد برزت أهمية كبيرة وضرورة عصرية ملحة دعت إلى المناداة بالتجديد حسب ما جاء عن البوطي وهذا لأنه أشرف العلوم، وله من الأهداف التي لا ينبغي لغيره الاشتغال بها، حيث يعول عليه في التصدي لأسباب الزيغ وموجباته الحديثة بعدما ظهر بجلاء الصدأ الذي أحدثته العزلة المعرفية في ثقافة العصر.

([10]) – محمد سعيد رمضان البوطي : **المذاهب التوحيدية والفلسفات المعاصرة**، ددن، دب، دط، دت، ص 43-44.

ونجد مرتضى مطهري وهو أحد أبرز العلماء والمفكرين المعاصرين في إيران، يعرف التجديد في علم الكلام بقوله: " هو العلم الذي يبحث في أصول الدين الإسلامي ليتم تحديد ما هو من أصول الدين وما ليس منها، وكيف وبأي دليل يتم لإثبات ذلك، ومن ثم يتحمل علم الكلام مسؤولية الإجابات الشافية على الشكوك والشبهات الواردة على هذه الأصول "[11].

وما يلاحظ على تعريف مطهري أنه جعله علم خالص لتبيين القضايا التي تكون من صميم أصول الدين ودراستها وإثباتها بالأدلة المناسبة، وبالتالي تتيح الإجابة على الأسئلة والشكوك التي ترد على أصول الدين وهذا ما كان الأوائل يفعلونه.

فالتجديد في علم الكلام ما هو إلا امتداد لعلم الكلام القديم، فالتعريف والموضوع والأهداف ذاتها، ولا "تعني سوى إلحاق المسائل الجديدة واستيعابها، في إطار المنظومة الموروثة لعلم الكلام، فمتى ما انضمت مسائل أخرى لعلم الكلام تجدد هذا العلم، فيما ذهب آخرون إلى أن مفهوم تجديد علم الكلام لا يقتصر على ضم مسائل جديدة فحسب، وإنما يتسع ليشمل التجديد في: المسائل، والهدف، والمناهج، والموضوع، واللغة، والمباني، والهندسة المعرفية "[12].

وانطلاقاً من هذه التعريفات توزع العلماء في تعريف علم الكلام الجديد بين إفراط وتفريط، فقد ركز بعض العلماء على التحولات في المسائل وقرروا أن الكلام الجديد عبارة عن المسائل الكلامية الجديدة، في حين يذهب فريق آخر إلى أن مفهوم التجديد

([11]) – مرتضى مطهري: **مجموعة الآثار**، طهران، 1991م، ج3، ص85-62.

([12]) – ينظر: عبد الجبار الرفاعي: **علم الكلام الجديد**، ص43. **تحديث الدرس الكلامي والفلسفي في الحوزة العلمية**، ص42، أحد فرامرز قراملكي: **تحليل مفهوم التجدد في الكلام الجديد**، ترجمة: حبيب فيَّاض، مجلَّة المنطلق، ع 119، 1998م، ص 18و23.

لا ينحصر في المسائل الحديثة التي تلحق بالعلم، وإنما يطال التجديد أهداف العلم ومناهجه ومواضيعه وقبلياته وكذا هندسة نظامه المعرفي.

الفرع الثاني: تعريف المرجعية الدينية.

- **المرجعية لغة:** هي اسم مفرد مؤنث منسوب إلى مرجع، ومرجعية دينية: أي سلطة أو جهة أو شخص ترجع إليه طائفة دينية معينة فيما يخصها أو يستشكل عليها من أمرها"[13]، ويقال للكتاب مرجع؛ لأنه يرجع إليه في مسائل العلم والأحكام.

وأما عن ورود مصطلح المرجعية في القرآن الكريم وفي السنة النبوية فلم يرد بهذا الإطلاق، ولا في كتب التراث الإسلامي، وإنما ورد لفظ "مرجع" كقوله سبحانه وتعالى: " إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ " (سورة المائدة:48)، أي رجوعكم.

- **المرجعية اصطلاحا.**

يعتبر الشيعة الإمامية أكثر من استعمل مصطلح المرجعية، حيث حسب نظرهم تتجسد في رجل دين واحد أو أكثر حسب التقليد المعمول به في المذهب، ويكون متميزا بفقه وورع وتقوى وإلمام بالعلوم الدينية والتشريع الديني، فهي بمفهومها الشيعي رجوع المسلمين الشيعة إلى من بلغ رتبة الاجتهاد.

ولكن المرجعية في حقيقة أمرها قد يراد بها مرجعية الفكرة كما قد يراد بها مرجعية الأفراد، ولا يخلو مجتمع ولا فئة ولا أمة مهما كانت من احتكامها إلى مرجعية دينية معينة. فهي الدستور الذي يحكم العلاقات في المجتمعات، وهي القيم التي تنظم سلوك الفرد وتصرفاته، وهي تلك المنظومة المجتمعية المتمثلة في القيم والمبادئ التي يؤمن بها ويعيش على أساسها ويحتكم إليها ويسعى –ربما– لخفت الفلسفات والنظم

(13) – أحمد مختار عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م، ج2، ص863.

المستقبلية لأي وطن وأي شعب وهذه المنظومة الفكرية أساسها الدين في بعده العقدي والأخلاقي والسلوكي، والدين في بعده الشرائعي، ثم كذلك هي لغة هذا الوطن وهي كل هذا الإرث التراثي والحضاري، والذي يمكن أن يتمثل في العمران أو الأعراف المجتمعية واللباس ويمكن أن يتمثل في النمط في الحياة في أي مجال من مجالات الحياة المختلفة فكل هذا الأمر يعد أبعاداً وتمثلات للمرجعية، إذا هذه المرجعية نريد أن نقيمها ونريد أن نتكلم على سبل توطينها في الأوطان ونريد أن نتكلم عن كيفية التجديد فيها بما يحفظ كيانها وكذلك يمكن أن نتكلم عن ما يمكن أن يحذر من مهدداتها.

من خلال هذه المداخل المتعددة لفهم هذا الموضوع نقول أن المرجعية بالمعنى البسيط هي ذلك المرجع وهي ذلك المعلم الذي يعاد إليه ويحتكم إليه والمرجعية كذلك هي بطاقة تعريف المجتمع وبطاقة تعريف شخص ضمن أمة وضمن وطن، وهي هذه المعالم والثوابت في الطريق، وهي هذه المحددات التي أصلها هذا الدين في نواته الصلبة على اعتبار أن هذا الدين فيه ثوابت ومتغيرات ولان هذا الدين فيه كذلك قطعيات وضنيات، فمن الخطأ توسيع أو اعتبار هذا الدين أو هذه المرجعية كلها أمر ثابت ينبغي المحافظة عليه دون أي تجدد فيه فهذا أصل ومطلب غير متسنى ولو ادعينا ذلك.

المبحث الأول: أركان المرجعية الدينية لعلم الكلام وأبعادها.

الفرع الأول: أركان المرجعية الدينية لعلم الكلام.

إن أي علم يتطلب مرجعية متكاملة ومحددة، وهذه المرجعية تتمثل في المصادر التي يستمد منها العلم دعائمه وقواعده، فديننا الذي هو النواة الصلبة الذي ينبغي أن تتكئ وتعتمد عليه المرجعية. وهذه النواة الصلبة تتمثل في مفاهيم الإيمان بالله تعالى،

والإيمان بنبوة محمد –صلى الله عليه وسلم–، ومفاهيم الإيمان باليوم الأخر بكل ما فيها من معاني في الشق الصُلب منه.

ونجد مشروع التجديد في علم الكلام قد احتوى مصادر هي:

- **المرجعية الأولى : القرآن الكريم.**

إن المرجعية الأولى والعليا لأي تأسيس معرفي إسلامي هو القرآن الكريم، وهو أصل لا يمكن تجديده أو الاجتهاد في مقابله، أي أنه سلطة مرجعية عليا ثابتة ودستور الله الخالد الذي بيّن فيه كل شيء، لقوله تعالى: " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً " (سورة النحل: 79). والاعتماد عليه لغةً وأسلوباً ومنهجاً في تأسيس الإيمان، "وأصحاب الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر على اختلاف في نمط تفكيرهم فهم ليسوا على نمط واحد، فما يقال عن منهج أحدهم في طريقة التلقي والاستدلال لا ينطبق على الآخرين بشكل دقيق، وهذا لا يتعارض مع القواسم المشتركة التي تجمع بينهم، ومن أظهرها غلوهم في تعظيم العقل، وقولهم بتقديمه على النقل عند توهم التعارض"[14]، فبعضهم سلك طريق أهل الأهواء وحكموا عقولهم فيما يأخذون ويذرون، حيث ترتب على ذلك انحرافات أخرى ظهرت في المواقف من النصوص الشرعية، "فمنهم من قال بالاعتماد على القرآن وحده في فهم الإسلام مستدلين بمثل قوله تعالى:" مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ"(الأنعام : 38)، وترتب على هذا المنهج المنحرف الإعراض عن كثير من أمور الشرع التي لم يأت تفصيلها إلا عن طريق السنة، وتأويل النصوص الشرعية تأويلا يصرفها عن معناها وما دلت عليه، إلى معانٍ فاسدةٍ توافق ما ذهبوا إليه، وأخذ ما

(14) – أحمد بن محمد اللهيب: **تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر**،(مرجع سابق)، ص 244.

يوافق آراءهم ويردون أو يؤولون ما يتعارض معها"[15]، ونجد أيضا من تعامل مع القرآن الكريم في شق سلبي وهو عدم الالتزام بكل التفسيرات المقررة للقرآن الكريم[16].

فهذه المرجعية هي الأصل والأساس الذي يستمد منها في كل بناء معرفي.

- **المرجعية الثانية: السنة المطهرة.**

السنة النبوية هي المرجعية الثانية للفكر الإسلامي بعد القرآن الكريم، وعرفها علماء العقيدة بأنها: "ما وافقت الكتاب والحديث"، إلا أننا نجد "أهل القرآن" من يدعوا لفهم القرآن واستخراج الأحكام والمقاصد العامة للإسلام من خلال السياق القرآني نفسه، ومن خلال تحليل وتفسير وتدبر الآيات مع التجاهل والإنكار لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ويقرر كثير من "أصحاب هذا الاتجاه أنهم لا يستدلون بالسنة إلا ما تواتر منها، وما كان من المتواتر فيه تعارض مع المسلمات العقلية والقواطع البرهانية، فإن لهم بها طريقين: إما التأويل أو التفويض"[17].

ونجد في السنوات الأخيرة جهود معتبرة قد بذلت من قبل المراكز والمعاهد العلمية المعنية للنهوض بفكر الأمة والارتقاء بواقعها، وكان من الأمور التي جرى طرحها والاهتمام بها هو فهم السنة النبوية، وقد ألفت كتب وأبحاث وعقدت ندوات ومؤتمرات لتصويب فهم السنة النبوية وكيفية اتخاذها مصدرا للثقافة والحضارة الإسلامية.

([15]) – أحمد بن محمد اللهيب: **تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر**،(المرجع نفسه)، ص 245.

([16]) – جمال البنا: **تجديد الإسلام**، منظومة المعرفة الإسلامية، د.ب، د.ط، د.ت، ص 416.

([17]) – أحمد بن محمد اللهيب: **تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر**،(مرجع سابق)، ص 250.

- **المرجعية الثالثة: أدوات فهم الأصول المقدسة وآلياته.**

تختلف أدوات فهم الأصول المقدسة ويعتبر العقل من بين تلك الأدوات للمعرفة، ويراد به الفعاليات العقلية التي قننها القرآن والسنة وأقراها، فالعقل يساهم في بناء صرح الفكر الإسلامي واكتشاف عناصره، ويؤكد القرآن الكريم على هذه الفعاليات في قوله تعالى: " كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ"(البقرة :242)، ومصدر تلقي العقيدة تقريرا أو ردا عند المتكلمين هو العقل وهو ما يسمونه بالأدلة اليقينية، والقاطع العقلي، فما أقره العقل فهو العقيدة، وما نفاه فلا يصح اعتقاده، وأما نصوص الوحي فلا اعتبار لها في حال المخالفة والمعارضة للعقل، بل شأنها أن ترد بأي وسيلة ممكنة إذا خالفت العقل، وأما إذا وافقته فهي من باب الاستئناس لا غير، لأنها لا تفيد اليقين"[18]، والعقل هنا يعمل على التكامل مع النص، وتحويله إلى نظرية وحكم، ومعنى هذا أن العقل لا يمارس دور المشرع إلى جانب النص بل يقتصر دوره على الإدراك الكشف.

- **المرجعية الرابعة: التراث الكلامي والفكري.**

التراث الفكري والكلامي هو ما توصل إليه المتكلمون والمفكرون المسلمون من فهم للنصوص وللواقع، تمثل بنظرياتهم وآرائهم في مختلف المجالات، ولاسيما في المجال العقدي، ولا يشكل هذا التراث مرجعية قاهرة، بقدر ما هو مرجعية متحركة للتكامل، فهو "محصلة جهود متواصلة وتراكم معرفي هائل، مما يجعله قاعدة ومنطلقاً للتجديد، وبالتالي فهو أهم محاور التجديد وساحته الطبيعية"[19].

([18]) – وليد بن صالح: **أثر علم الكلام على المنتسبين إليه وموقف أعل السنة والجماعة وكبار المتكلمين منه**(رسالة ماجستير)، (مرجع سابق)، ص37.

([19]) – علي مؤمن: **الإسلام والتجديد**، دار الروضة، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص22.

• **المرجعية الخامسة: الحكمة.**

استعمل القرآن الكريم كلمة الحكمة في آيات عديدة، منها قوله تعالى: " **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** " (ص20)، وقوله أيضا: " **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً مثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب** " (البقرة :269).

هذه المرجعية تعزز النصوص المتواترة والمتعددة في القرآن عن الحث على التفكير وإعمال العقول والتدبر فيما خلق الله وأوجده من آيات وسنن والتعرف على آثار الحضارات القديمة وما تركوه من جنات وعيون...الخ، وهناك "سببان رئيسيان يجعلان دعوة الإحياء الإسلامي تأخذ الحكمة مرجعية لمنظومة المعرفة الإسلامية وهما:

أ- السبب الأول: أن القرآن لا يذكر التفاصيل، وبالتالي ظهرت مجالات عديدة لا يمكن تجاهلها أو إغفالها، لذا عزز الله سبحانه وتعالى الدين بالحكمة التي تستكمل ما ينقصه، وتحقق للحياة الإنسانية الثراء، والوفرة، والتعددية، وتربط ما بين القديم والجديد، والشرق والغرب.

ب- السبب الثاني: أن الإسلام هو آخر الديانات السماوية وأنه للناس جميعاً ومعنى هذا أن عليه أن يعايش البشرية في مصيرها، وقد جاء اختيار القرآن الكريم لكلمة الحكمة نوعاً من الإعجاز، لأنها يمكن أن تضم الثقافات والمعارف في مختلف المجالات، وتتصف بالسلامة الموضوعية البعيدة عن السرف أو الخطأ، ويتحقق هذا إذا كان هناك باب مفتوح على كل الثقافات والتطورات ليستطيع أن يوائم نفسه مع المستجدات وإلا لأصبح صندوقا مغلقاً جامداً لا يساير التطور[20].

([20]) – جمال البنا: **تجديد الإسلام**، (مرجع سابق)، ص456-458.

الفرع الثاني: أبعاد المرجعية الدينية.

إن المرجعية الدينية يتجاذبها بعدان:

- **البعد الأول هو البعد الإسلامي الإنساني**: طبع البشر ولد فهوما بشرية عديدة للإسلام سواء على المستوى المذهبي الفقهي أو على مستوى التنامي العقائدي ودائما في إطار المتغيرات هذين البعدين الفقهي والكلامي العقدي أو ربما نضيف إليه حتى البعد الفلسفي لهذا الدين، إذا هناك تجاذب على هذا المستوى وهي إلى حد ما تجاذب مشروع، باعتبار أن الكل يعود إلى المصدر والينبوع نفسه المتمثل في القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة المصدرين المعصومين، فنجد خصوصية النصوص الدينية الصالحة لكل زمان ومكان، أساس لكل مسلم ومنهما يستمد عقيدته، ويتعلم أمور دينه ويقف على شؤون حياته، ويجد جوابا لمشاكله المتنوعة، و"باعتبار أن الفكر البشري محدود بحدود الزمان والمكان والبيئة فليس له ما للنصوص الدينية من قداسة، وبالتالي يمكن إعادة النظر فيه وتقويمه، والعمل على تجديده وتطويره، فنحن نتحدث عن تاريخية التراث الفكري لا عن تاريخية الإسلام، لأن مصادر الإسلام الأساسية لم تتشكل داخل التاريخ فهي وحي يوحى؛ بل هي التي دار حولها التاريخ"[21].

- **ومستوى ثاني من التجاذب هو التجاذب الإنساني الإنساني**: إن ما ينتجه الإنسان من خلال مرجعيته الإسلامية فهو في الأخير ينتج فكراً، وينتج فلسفة، وينتج رؤية لكل ما هو موجود في حياة البشر، أكيد أن هنالك مصادر أخرى لفائدة البشر: مصادر غربية، مصادر شرقية، مصادر إلحادية مصادر متعددة المشارب بحكم تجاذب آخر على هذا المستوى.

([21]) – ينظر؛ نظير محمد نظير عياد: **نحو منهج جديد في العلوم الإسلامية**، (مرجع سابق)، ص116.

إذن هذه الساحة المفتوحة على مصرعيه في هذا العصر من خلال وسائل التواصل المختلفة، ربما لا يسمح لهذا الإنسان المسلم وهو يريد أن يحافظ على مرجعيته الوطنية والإسلامية أن ينغلق على نفسه بل نبعد إلى نوع من الكلام على أصالة هذه المرجعية مع تفتحها على البعد الإسلامي والبعد الإنساني، وهنا نتكلم على الأصيل والدخيل، ونتكلم على الانفتاح الواعي المسئول، وهنا كذلك نتكلم ونقول أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتكلم على المرجعية المنغلقة على نفسها فنقول أن هناك ما يسمى بضرورة التلاحق والتلاقح؛ بمعنى أن الإسلام أو أن المرجعية الوطنية تنظر في مثيلاتها من المرجعيات الوطنية الإسلامية الأخرى لكي تستفيد منها وتنقح ما عندها داخليا بما هو موجود إيجابي في هذه المرجعيات كما تنظر بالمرآة نفسها لما هو موجود في الإرث الإنساني فتستفيد منه تنقيحاً وتلقيحاً لما لديها، وهذه هي واقع الحياة البشرية شئنا أم أبينا في بعدها المفاهيمي وفي بعدها النظري.

المبحث الثاني: مُوَقِضَات الأركان ومهددات الكيان.

الفرع الأول: مُوَقِضَات المرجعية الدينية.

وهنا يأتي الكلام على ما يسمى بموقضات الأركان، بكل اختصار نقول أن الأركان هي مؤشرات في إطاراها تتحرك وتنضبط المرجعية، وهي أصل العقائد و الشرائع والأخلاق، ثم الأركان هي الموروث الإنساني والثقافي الفكري المتمثل في تاريخها ولغتها وأعرافها، وفي كل ما استفادته كخبرة بشرية متناقلة ومتوارثة جيل عن جيل في فهم الحياة في جوانبها المختلفة، والتي يمكن أن تتمظهر في مذهب أو في كتب وأن تتمظهر حول أعلام وشخصيات وزعماء ورموز وطنية وسياسية ودينية وغيرها، مما يمكن أن تكون معالم في طريق هوية من الهويات ومن خلالها نصل إلى الحفاظ على موقضات أركانها من خلال سياسات رشيدة، تعود بنا إلى التراث فتأخذ مكامن و

جوانب الإيجابية فيه، وتترك ما يمكن أن يعد من أخطاء التاريخ في هذا الأمر ويتحول إلى مشروع فكري تتبناه جهات معينة لكي تنشره في مقررات مناهج التربية والتعليم للناشئة، ويمكن أن يكون مقررات على مستوى الجامعة ومجال البحث، ويمكن أن يكون خطابا دعويا ينطلق من خلال المساجد ومن خلال المنتديات والملتقيات والندوات لكي ينتشر في المجتمع كما يمكن أن يكون عن طريق وسائل الإعلام والصحافة المختلفة لكي يشكل بما يسمى الحصانة والرأي العام المجتمعي، ولكي تترسخ هذه المفاهيم.

الفرع الثاني: مهددات المرجعية الدينية.

من المعلوم أن العالم الإسلامي يتعرض لجملة من التحديات والمعوقات، تحول بينه وبين مشروع التجديد في علم الكلام، فالمهددات عديدة وبالذات في هذا العصر؛ عصر الانفتاح، وعصر القرية الواحدة، وعصر الوطن الواحد، والشعب الواحد، والثقافة الواحدة، وهذا الأمر جلب تيارات فكرية دخيلة تغريبية، وتيارات لا تمت للإسلام بصلة، لكي نصل إلى التيارات إسلامية كذلك دخيلة لأنها تمس النواة الصلبة أو تمس المرجعية الدينية في إطار المتغيرات الأخرى التي تعتقد فيها نوع من الحصانة أو من الصحة وما هي في الأخير إلا اجتهادات ورؤى لمجتمعات إسلامية أخرى ربما صالحة في مجتمعات أخرى ولكن غير صالحة في هذه المجتمعات أو اعتبارها دخيلة لان فيها نسوة التعصب أو نسوة الانغلاق أو نسوة إبعاد الآخر أو عدم الاعتراف بالآخر، في إطار المشترك الإنساني المبني على الظنيات، أو المبني على المتغيرات، أو على الفهوم النسبية، فيما يلغي الدين الإسلامي، أو التي يمكن أن تكون من المهددات، لأنها لم تستطع أن تميز بين هذه الأمور الإشكالية الفرعية وما يتعارض مع مقاصد الدين الكبرى، ومحاولة الهاء المتكلمين والعلماء لكي يفكروا في القضايا الكبرى لأمة الإسلام في قضايا الوحدة والاستغلال والعمارة فتدخل هذه الأوطان في

نوع من الإلهاء ونوع من الصراع المذهبي ونوع من الاقتتال بسبب هذا المختلف فيه في الضنيات وليس في إطار القطعيات، فأخترق علم الكلام على مستوى هويته وعلى مستوى مقوماته وعلى مستوى النواة الصلبة فيه، وهذا ما لا ينبغي أن يكون.

وسنذكر جملة من المهددات والمعوقات التي حالت دون النهوض بمشروع تجديد علم الكلام، على سبيل الذكر لا الحصر:

1_ فقدان نخبة من كبار مفكري الإسلام المعاصرين: في مطلع الثمانينات ظهرت موجة تطورات متلاحقة وهامة، وقبل هذه المرحلة وفي غضونها، فَقَدَ العالم الإسلامي نخبة من كبار مفكريه الذين كان من التأكيد أن يكون لهم تأثير فكري مهم على تطورات الفكر الإسلامي في مختلف جوانبه وعلاقته بالمتغيرات والمستجدات الجديدة، فقد كانوا "رواد النهضة والتجديد والإصلاح في الأمة، ومن هؤلاء نذكر: مالك بن نبي(1973م)، علي شريعتي(1977)، مرتضى مطهري(1979)، والسيد محمد باقر الصدر(1980) ...، هؤلاء وآخرون عرفوا بعطائهم الفكري المميز والجاد، وكان لهم التأثير الفكري الواضح على العالم الإسلامي، فغيابهم جاء في وقت كان فيه العالم الإسلامي المعاصر في أشد الحاجة إليهم"[22]. وانطلاقاً من هذا برزت حاجة ماسة إلى تعميم وتوعية المفكرين بضرورة الاهتمام بالتجديد في علم الكلام، ونشر أهدافه ومبادئه ووظائفه وكذا مسائله من أجل معالجتها من طرف علماء يعيدون للعقل المسلم قيمته ووزنه، ويحملون راية نصرة هذا الدين، ونصرة مرجعيته وحفظ كيانه وأركانه.

2_ العقلية الخرافية: وهي العقلية التي ترمي أخطاءها وكسلها وعثراتها على الخرافات والخزعبلات، فلا تراعي سنن الله في الكون والخلق، وتلبس ضعفها

(22) – زكي الميلاد: **تطورات الفكر الإسلامي ومساراته المعاصرة**، د؛د؛ن، د؛ب، د؛ط، د؛ت، ص87.

ووهنها في مواجهة وتحدي ما يصيبها بطريقة دينية هوجاء، فتسمع كلمات مثل: 'نصيب'، و'عين وأصابته'، 'حسد الناس'، وغيرها من المصطلحات التي رمى الناس عليها عجزهم وضعفهم، وهذه العقلية عطلت العلم والجهاد والعمل، بانتظار الفتوحات الربانية والمدد الإلهي، ولكن الله وشريعته براء من هذه التصرفات التي تعطل نواميس الكون وقوانينه، يقول تعالى: "**واعدوا**..."، "**وقل اعملوا**..."، "**وخذوا حذركم**..."، آيات عديدة شكلت قواعد عملية لعمارة الكون وخلافة الأرض، وتنمية الإنسان، قابلها المسلمون بالقراءة فقط والترنم بها، ومن ثم الدعاء وحده لرفع الظلم والاضطهاد والاحتلال والذل الذي ألم بهم"[23]، هذا الأمر هو من معوقات التجديد الكلامي لأن صلاح المجتمع يبدأ بصلاح عقلية كل فرد، وهذا دور العلماء والمفكرين الإسلاميين، في أن يصححوا هذه المفاهيم، ويبدؤوا هذا بالتنشئة منذ الصغر في المدارس والمساجد حتى تترسخ هذه المفاهيم، ويتمثل المسلمون الدين على النحو الأمثل الذي ارتضاه الله لهم، ومن منطلق أن بناء الحضارة يعد من صميم الاعتقاد.

3_ التمسك بالمنهج التقليدي: إلى جانب هذه المعوقات نجد مشكلة التعامل مع التراث التي اعتبرها أصحاب المدرسة التجديدية عقبة تعترض عملية التجديد، وذلك أن "معظم المجتمعات الإسلامية والعربية نشأت متربية على إرث فكري ديني ممزوج بعادات وتقاليد يكاد من المستحيل الخروج عليها، أو محاولة نقدها أو إلغائها"[24]. وتتعقد المشكلة عندما يفرض الواقع نفسه ويتلقفها المجتمع وكأنها

([23]) –ينظر؛ أسعد سمير أسعد حلبوني: **المدرسة التجديدية في الفكر الإسلامي وأثرها على التنمية السياسية**، ص71.

([24]) – القاسمي جمال المدني: **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص264-267.

مسلمات شبه مقدسة يرفضون ويمانعون تعديلها أو حذفها، فتعظيم تلك الأعراف والتقاليد يصعب أمر إصلاحها، ناهيك عن إثارة أفكار جديد وجادة، لذا فمسؤولية علماء التجديد عظيمة وجليلة؛ وتتطلب رؤية فكرية جديدة معاصرة، تزيح كل الاتهامات الملقاة على الفكر الإسلامي بصفة عامة، ونسج تلك العادات والتقاليد بما يتناسب مع طبيعة المكان والزمان الذي نعيش فيه.

4_ الخلط بين ثوابت الفكر ومتغيراته: ينشأ الصراع وتحتدم المواجهة بين أصحاب الفكر التقليدي وأصحاب المدرسة التجديدية في الفكر الإسلامي، لأن الأول لا يملك إستراتيجية ولا رؤى حضارية أو عصرية يواكب بها زمانه، وفلسفته تنتهج أن يسير مع الركاب، فلا مجال في رؤاه وفكره لأي فكرٍ مقدامٍ جريء، ذو نظرة عصرية نهوضية، ولا يستخدم الحجة العلمية المضبوطة في النقاش والمناظرة العلمية"[25]، بيد أنه من الضروري التمييز بين متغيرات الزمان والمكان حتى تستمر علاقة الديمومة بين النص والحياة ،وبين الفكر والواقع.

5_ النزعة المذهبية: كان من سلبيات علم الكلام التي تؤخذ عليه، هي تحوله إلى أساس لتقسيم المسلمين إلى فرق وأحزاب، ما أدى إلى البعد عن المنهجية في كثير من موارد النزاع بين المتكلمين، حيث كفر بعضهم بعضاً، وألفت كتب تحمل في ثناياها هجوما وتجريحا أكثر مما تحمل نقاشا منهجيا علمياً"[26]، نحن أمام فترة يمكن أن نؤرخ فيها لمرحلة جديدة في مسار الفكر الإسلامي حيث تحيط به التطورات والمتغيرات من كل جانب تفرض عليه أن يكثف اشتغالاته، وأن يجدد في منهجياته بما

([25]) – أسعد سمير أسعد حلبوني: **المدرسة التجديدية في الفكر الإسلامي وأثرها على التنمية السياسية**، ص74- 75.

([26]) – مجلة الحياة الطيبة: **علم الكلام، ضرورات النهضة ودواعي التجديد**، ص10.

يستوعب المستجدات المعاصرة التي تراكمت عليه حتى شكلت ما يسمى عند البعض منطقة فراغ واسعة، وأن يحرك قدرته الاجتهادية والتجديدية بما يضمن له الحضور بعد زمن الغياب.

المبحث الثالث: المناهج التحديثية وآثارها في تجديد علم الكلام.

تشكلت معالم الفكر التجديدي من القضايا التي استحوذت على اهتماماته، ومن الوضعيات والسياقات والأرضيات التي تواصل معها وانطلق منها، ومن المرجعيات والتقويمات التي نهض بها، ومن المفاهيم والأفكار التي كونها وأسس عليها نظراته للتراث والعصر والمستقبل.

وبهذا انتشرت في الآونة الأخيرة دعاوى واهتمامات بالدراسات الإسلامية بصفة عامة، وبالدراسات القرآنية بصفة خاصة، واتخذت مسارات عدة يأتي في مقدمتها جهود المستشرقين في حفظ المخطوطات الإسلامية وتصنيفها، ولكن ما يميز هذه الجهود في العقود الأخيرة استقطابها لمفكرين عرب ومحاولة استغلالهم في الرد على المسلمين وتشويه الإسلام بدعوى تحديث المجتمعات الإسلامية والعربية، فابتكروا عبارات وحملوا لواءات وادعوا الوصول إلى مناهج جديدة في التفسير والتأويل لم يصل إليها أحد من قبل، وبينوا واظهروا أنهم ناقمون على مناهج المستشرقين، وفي حقيقة أمرهم لم يخرجوا عن منهج المستشرقين الطاعنين في كتاب الله تعالى قيد أنملة، وإنما رددوا ما سمعوه وتلقّوه عنهم.

فنتج عن هذا وذاك طغيان جهمية القرن العشرين، والباطنية الحديثة والإلحاد المتنمر، والمذاهب الحديثة الهدامة مثل المذهب الاسمي الذي يقرر أتباعه أن لفظ الله لا يوجد له مسمى، والمذهب التجريبي الذي نظر أتباعه بموضوعية من خلال أبحاثهم إلى العالم بما فيه، وانتهوا إلى الاعتراف بوجود قوة تحكمه وتعنى بأمره وترعى شؤونه، هذه القوة وهو الله تعالى، وقد انتهوا إلى هذه الحقيقة لما ربطوا بين العلم والدين، وهذا هو المنهج الذي

يجب أن يكون عليه علم الكلام الجديد"[27]. واستدلوا على ذلك بأن التحول الذي طرأ في الفكر الغربي كان نتاج لثورة على الفكر الديني المسيحي الذي تمثلته الكنيسة ورجال الدين، وهذا الأمر تزامن مع الثورة العلمية التي استطاعت تعويض المنهج العقلي بالمنهج التجريبي، فنحا علم اللاهوت المسيحي منحى آخر غير الذي كان عليه، ومنه فإذا كان عصر الأنوار قد استطاع أن يدخل المنهج العقلي في دراسة اللاهوت، وذلك عبر الدعوة إلى نقد الكتاب المقدس، فإن المنهج التجريبي الذي أنشأته الفلسفات الحسية والتجريبية والطبيعية، قد تسبب في نشأة اللاهوت الطبيعي، كما أن سائر الفلسفات الأخرى مثل الوجودية أسهمت في توجيه علم اللاهوت نحو وجهات أخرى؛ حيث ظهر علم اللاهوت الوجودي يرتبط بالإنسان وليس بالله، ويحلل الوجود الإنساني في أبعاده المختلفة من هم وقلق وموت ويأس وأمل وزمان ومكان، فلم يعد علم اللاهوت علم الله بل تحول إلى علم الإنسان، ومنه نقول أن هذا التحول الهام في تحديد موضوع علم اللاهوت كان ضرورة حتمية لمسايرة أوضاع كل عصر.

كما برزت دعوة إلى التفكير بالمستقبل وضرورة الانتقال والتحول من الانغلاق على الماضي، والانشغال بالتراث والنظر إلى الوراء، إلى الانفتاح على العصر والتواصل مع العالم، والنظر إلى المستقبل واستشراف آفاقه وتحدياته، فلم يكن للتفكير بالمستقبل حظ في الكتابات الإسلامية قبل الثمانينات، ولكن بعد هذه الفترة ظهرت بواعث ومبادرات للتفكير به والنهوض والانطلاق، فبرزت تجلياتها الشاخصة في الكتب التي الفت و الندوات التي عقدت[28]. وهذا الأمر نجده قد استفحل في المناهج التحديثية لمشروع التجديد الكلامي، ونجد البعض يدندنون بنفس الأفكار، ونجد أن علم الكلام بمعناه

([27])–ينظر؛ نظير محمد نظير عياد: **نحو منهج جديد في العلوم الإسلامية**، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2016م، ص118-119.

([28]) – محمد عمارة: **مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية**، (مرجع سابق)، ص25.

الحديث لم يعد ذلك العلم الذي يبحث في العقائد الإيمانية كالتوحيد والصفات وأفعال العباد و...فحسب؛ بل أصبح العلم الذي يهتم بواقع الإنسان المسلم ومصيره والكشف عن السلبيات التي تعيق تقدمه نحو الأفضل، فالتجديد في علم الكلام حوّل مجال اهتمام الفكر الديني من السماء إلى الأرض، ومن الله إلى الإنسان، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن هنا يتبين أيضاً عدم قدرة بعض هذه العلوم على تغطية حاجة المسلمين في فهم العقيدة، لأن الحياة الثقافية المعاصرة استغنت عن المناهج الفلسفية القديمة والمناهج الكلامية، واتجهت إلى المناهج الحديثة "[29].

ونجد أيضا صيحات المحدثين واختياراتهم الموزعة بين "سقراط الذي حاول تحليل الشعور قديما، لإيجاد الحقيقة الباطنية فيه من خلال العبارة الشهيرة التي قرأها على جدران أحد المعابد وهي رَحِمَهَا ٱللَّهُاعرف نفسك بنفسك رَحِمَهَا ٱللَّهُ، وهوسرل الذي حاول حديثا تحليل الشعور من خلال قوله: رَحِمَهَا ٱللَّهُفي باطنك أيها الإنسان تكمن الحقيقة رَحِمَهَا ٱللَّهُ، وبين الواقعية التجريبية التي أسسها بيكون وهيوم، وبين ديكارت وكانت وهيجل الذي أكمل المثالية الأوروبية، وماركس الذي اكتشف طريق المجتمع الشيوعي "[30]، فهذه الثقافات الغربية تعد أساسا لتكوين علم العقيدة الجديد، لذا كان لزاما وجود مادة يشتق منها أدلة للدفاع عن العقيدة وإيجاد حلول لها طبقاً لمناهج علمية حديثة، لمواجهة هذه التحديات وهذه الأفكار التي بدأت في التوغل والانتشار، ودخولها بشتى الطرق والوسائل.

كما برز في المقابل صدور التفاتة من علماء ومفكرين وباحثين بضرورة التفكير بالمراجعة والنقد في مقابل التفكير بالمعاصرة والتجديد، وذلك في إطار الأفكار والمفاهيم والاجتهادات التي يتجدد الفهم حولها، وهذا التغير الذي بعث قدرا من الاطمئنان صدر

([29]) – الهادي فضلي: **حول تجديد علم الكلام**، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ص5.

([30]) – نظير محمد نظير عياد: **نحو منهج جديد في العلوم الإسلامية**، (مرجع سابق)، ص115.

من داخل المرجعية الإسلامية وبدافع الحرص والحماية لها، ولا شك أن هذه المرجعيات والتقويمات هي من مؤشرات الصحوة المعرفية وجاءت لكي تلبي حاجات الفكر الإسلامي للتجديد والتطور "[31].

هذه الأمور وغيرها دعت إلى الاهتمام بعلم الكلام في السياق التاريخي الإسلامي المعاصر، فهو استجابة لمتطلبات العصر، كما أكد على هذا حسن حنفي في قوله:" هناك فرق شاسع بين علم الكلام والعقائد الدينية، فعلم الكلام محاولات اجتهادية لفهم العقيدة أو العثور على أساس نظري لها، وتخضع كل هذه المحاولات للظروف التاريخية التي نشأت فيها، وللأحداث السياسية التي سببتها، وللغة العصر ـ التي عبرت لها، وللمستوى الثقافي الذي ظهرت من خلاله، لا يمكن إذن التوحيد بين العقيدة كحقيقة مطلقة وبين الصياغات التاريخية لها التي تحدث في زمان معين ومكان معين وبلغة معينة وعلى مستوى ثقافي معين "[32]، فحسن حنفي بين أن البحث في علم العقيدة من متطلبات الظروف التاريخية والأحداث السياسية التي أوجدتها، وهذا يدل على أن متطلبات هذا العصر تقتضي تجديد نوعي لعلم الكلام.

خلاصة المداخلة أقول فيها أن:

مقالة التجديد هي رد فعل إيجابي على ما أصاب الأمة الإسلامية من تخلف وانحطاط وعدم جدّية، أخذت في الشيوع على التدريج وبخطى بطيئة وباستمرار فلم تتوقف خلال التاريخ الإسلامي، وإذا ما خصصنا الحديث عن علم الكلام فنجد أن تسمية تجديد علم الكلام هي تسمية حادثة من حيث المصطلح، ولكنه نبع من وحي الوسط الإسلامي، ومن مصدر الثقافة الإسلامية الأصيلة، واعتمد ويعتمد على

([31]) – زكي الميلاد: **الفكر الاسلامي–ملامح وقضايا**.

([32]) – حسن حنفي: **من العقيدة إلى الثورة: الإيمان والعمل–الإمامة**، مكتبة مدبولي، د.ب، ط1، د.ت، م5، ص631–632.

المرجعية الدينية، لأنه يصب في حفظ الدين، وفي حفظ وحدة الأمة وتمسكها، فينبغي التمسك بهذه المرجعية والحفاظ عليها، وكذلك في المقابل يجب تمحيص وتدقيق كل فكر وكل منهج وكل قراءة جديدة مغطاة بفكرة المعاصرة الزمنية للمستجدات، ثم لا ننكر أنه من الخطأ أن نعتبر كل ما هو موجود بين يدي البشر من المسائل المتغيرة وكأننا نلغي الثوابت ونسقط في التميع أو نسقط في الذوبان أو نسقط في اعتبار أن كل ما هو موجود صادق، وقابل للنقد والتغير بعامل الزمن، والوسط هو الكلام على وجود ثوابت في هذا الدين ينبغي أن نحافظ عليها وينبغي أن نحتكم إليها ونعول عليها، كما ينبغي أن تكون عابرة للازمان والأوطان عابرة للتاريخ والجغرافيا إلى مجال آخر من المتغيرات، كذلك ينبغي في المقابل الانفتاح الواعي للاستفادة من التجارب الإسلامية والتجارب الإنسانية الناجحة في مجال تجديد علم الكلام

توصيات:

ربما الشيء الذي يجدر بنا التوصية عليه هو:

- تكثيف مثل هذه البحوث والملتقيات وهذه المواضيع، فعلى الأقل تكون الاستفادة أولا من جانب الباحث المنجز لعنصر معين فهو يحيط بكم معرفي هائل ويوضع في ساحة قضايا العصر الراهن، كما يستفيد المشاركون والحضور في الملتقى بمعارف متنوعة.
- تخصيص ملتقيات للحديث عن المناهج الغربية والفلسفات الحديثة، وآثارها بشقيها الإيجابي والسلبي.
- نستوصي العلماء وأهل الاختصاص تفعيل دور المرجعية الدينية ليرتقي إلى مستوى مواجهة التحديات المعاصرة.
- تقييم واقع الفكر العربي والإسلامي، لمعرفة مدى قربنا من التقدم بمختلف جوانبه؛ العلمي، والفكري، والثقافي، والسياسي،...